

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَظْمُ مَعَاقِدِ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ

بِحَمْدِ رَبِّي أَبْتَدِي فِي نَظْمِي
لِشَيْخِنَا صَالِحِ الْعُصَيْمِي
مَعَاقِدَ التَّعْظِيمِ أَيُّ: لِلْعِلْمِ
مَنْ نَفَعُهُ عَمَّ كَقَطْرِ الْغَيْمِ

[١] طَهَّرُ وَغَاءَهُ [٢] وَأَخْلَصُ [٣] وَاجْمَعُ
[٥] وَاسْلُكْ سَبِيلًا مُوَصَّلًا [٦] تَعْلَمُ
[٢] أَهَمُّهُ ثُمَّ الْمُهَمُّ تَغْنَمُ
[٣] [٨] تَأَنَّ [٩] وَاصْبِرْ [١٠] وَلَهُ تَأَدَّبَا
[٤] [١١] وَصْنُهُ عَنْ شَيْنٍ [١٢] وَصَاحِبُ خَيْرِهِ
[٥] [١٤] وَأَكْرَمَنَّ أَهْلَهُ وَوَقَّرِ
[٦] [١٦] وَقَّرْ مَجَالِسَهُمْ [١٧] وَذُبَّا
[٧] [١٨] كَذَا تَحَفَّظْ فِي سُؤَالٍ [١٩] وَاشْغَفِ
[٢٠] وَوَقَّتَكَ اشْغَلُهُ بِهِ. لَا تَكْتَفِ =

وَرَاجِعِ الْأَصْلَ وَأَصْلَ الْأَصْلِ
ثُمَّ بِحَمْدِ رَبَّنَا مَنْ عَظَّمَا
وَشَرَحَهُ لِشَيْخِنَا ذِي الْفَضْلِ
الْعِلْمَ وَالْعَالِمَ نَظْمِي خُتِمَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَظْمُ مَعَاقِدِ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ

مع نص الأصل (خلاصة تعظيم العلم) لشيخنا العلامة صالح العصيمي حفظه الله
نص النظم في إطار، وبقيّة الكلام نسخ من خلاصة تعظيم العلم إذ النظم لا يستغنى به عن أصله
فإلى نص كلام الأصل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله المعظّم بالتّوحيد، وصَلَّى الله وسلّم على عبده
ورسوله محمّدٍ المخصّوص بأجلّ المزيّد، وعلى آله وصحبه أُولي
الفضل والرّأي السّديد.
أمّا بعدُ:

فهذه من كتابي «تَعْظِيمِ الْعِلْمِ» خُلاصَةُ اللَّفْظِ، أُعِدَّتْ
بالتّقاطها لمقصد الحفظ، فاستُخرج منه للمنفعة المذكورة اللّباب،
وَجُعِلَ فِيهِ الْأَنْمُودَجُ مِنْ كُلِّ بَابٍ؛ لِيَكُونَ فِي نَفُوسِ الطَّلَبَةِ شَمْسُ
النَّهَارِ، وَيَتَرَشَّحُوا بَعْدَهُ إِلَى الْعَمَلِ وَالْإِدْكَارِ.
فَأَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلَهُمْ لَزُومَ مَعَاقِدِ التَّعْظِيمِ، وَالْفُوزَ بِجَوَامِعِ
فَضْلِهِ الْعَظِيمِ.

بِحَمْدِ رَبِّي أَبْتَدِي فِي نَظْمِي مَعَاقِدَ التَّعْظِيمِ أَيُّ: لِلْعِلْمِ
لِشَيْخِنَا صَالِحِ الْعُصَيْمِي مَنْ نَفَعُهُ عَمَّ كَقَطْرِ الْغَيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه عدد من تعلم وعلم.
أما بعد :

فإنَّ حظَّ العبد من العلم موقوفٌ على حظِّ قلبه من تعظيمه
وإجلاله، فمن أمتلأ قلبه بتعظيم العلم وإجلاله؛ صلح أن يكون
محلاً له، وبقدر نقصان هيبة العلم في القلب؛ ينقص حظُّ العبد
منه، حتَّى يكون من القلوب قلبٌ ليس فيه شيءٌ من العلم.
فمن عظم العلم لاحت أنواره عليه، ووفدت رُسل فنونه إليه،
ولم يكن لهمة غايةٌ إلا تلقَّيه، ولا لنفسه لذةٌ إلا الفكرُ فيه، وكأنَّ
أبا محمَّدٍ الدارميَّ الحافظَ رَحِمَهُ اللهُ لَمَحَ هذا المعنى، فختَمَ كتاب العلم
من سننه المسماة بـ«المسند الجامع» ببابٍ في إعظام العلم.
وأعونُ شيءٍ على الوصول إلى إعظام العلم وإجلاله: معرفةُ
معاقد تعظيمه، وهي الأصول الجامعة، المحقَّقة لِعَظَمَةِ العلم في
القلب، فمن أخذ بها كان معظماً للعلم مُجِلاً له، ومن ضيَّعها
فلنفسه أضاع، وللهواه أطاع، فلا يلومنَّ - إن فتر عنه - إلا نفسه،
(يداك أوكتا وفوك نفخ)، ومن لا يُكرِّم العلمَ لا يُكرِّمه العلمُ

المعقد الأول

تطهير وعاء العلم

وهو القلب؛ وبحسب طهارة القلب يدخله العلم، وإذا
أزدادت طهارته أزدادت قابليته للعلم.

فمن أراد حياة العلم فليزِن باطنه، ويُطَهِّر قلبه من نجاسته؛
فالعلم جوهر لطيف، لا يصلح إلا للقلب النظيف.

وطهارة القلب ترجع إلى أصليين عظيمين:

أحدهما: طهارته من نجاسة الشبهات.

والآخر: طهارته من نجاسة الشهوات.

وإذا كنت تستحي من نظر مخلوقٍ مثلك إلى وسخ ثوبك،
فاستح من نظر الله إلى قلبك، وفيه إحْنٌ وبلايا، وذنوبٌ وخطايا.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:
«إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم
وأعمالكم».

من طَهَّر قلبه فيه العلم حَلَّ، ومن لم يرفع منه نجاسته ودَّعَه
العلمُ وارتحل.

قال سهل بن عبد الله رحمته الله: «حرامٌ على قلبٍ أن يدخله
النُّور، وفيه شيءٌ ممَّا يكره الله ﷻ».

المعقد الثاني إخلاص النية فيه

إنَّ إخلاصَ الأعمالِ أساسُ قبولها، وسُلَّمُ وصولها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: الآية ٥]. وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الأعمال بالنية، ولكل أمرئ ما نوى».

وما سبقَ مَنْ سبقَ، ولا وصلَ مَنْ وصلَ من السلف الصالحين؛ إلَّا بالإخلاص لله رب العالمين.

قال أبو بكر المروزي رحمته الله: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله - يعني أحمد ابن حنبل - وذكر له الصدق والإخلاص؛ فقال أبو عبد الله: «بهذا أرتفع القوم».

وإنما ينال المرء العلم على قدر إخلاصه.

والإخلاص في العلم يقوم على أربعة أصول، بها تتحقق نية العلم للمتعلّم إذا قصدتها:

الأوّل: رفع الجهل عن نفسه؛ بتعريفها ما عليها من العبوديّات، وإيقافها على مقاصد الأمر والنهي.

الثاني: رفع الجهل عن الخلق؛ بتعليمهم وإرشادهم لما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم.

الثالث: إحياء العلم، وحفظه من الضياع.

الرابع: العمل بالعلم.

ولقد كان السلف - رحمهم الله - يخافون فوات الإخلاص في طلبهم العلم، فيتورعون عن أدعائه، لا أنهم لم يحققوه في قلوبهم.

سئل الإمام أحمد: هل طلبت العلم لله؟ فقال: «الله عزيز!!، ولكنه شيء حُبب إليّ فطلبتّه».

ومن ضييع الإخلاص فاته علم كثير، وخير وفير.

وينبغي لقاصد السلامة أن يتفقد هذا الأصل - وهو

الإخلاص - في أموره كلها، دقيقها وجليلها، سرها وعلمها.

ويحول على هذا التفقد شدة معالجة النية.

قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما عالجت شيئا أشد عليّ من

نيتي؛ لأنها تتقلب عليّ».

بل قال سليمان الهاشمي رحمه الله: «ربما أحدث بحديث واحد

ولي نية، فإذا أتيت على بعضه تغيرت نيتي، فإذا الحديث الواحد

يحتاج إلى نيات».

المعقد الثالث جمع همة النفس عليه

تُجمع الهمة على المطلوب بتفقد ثلاثة أمور:
أولها: الحرص على ما ينفع، فمتى وفق العبد إلى ما ينفعه
حرص عليه.

ثانيها: الاستعانة بالله ﷻ في تحصيله.

ثالثها: عدم العجز عن بلوغ البغية منه.

وقد جمعت هذه الأمور الثلاثة في الحديث الذي رواه مسلم
عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك،
واستعن بالله ولا تعجز».

قال الجنيد رحمه الله: «ما طلب أحد شيئاً بجدٍّ وصدقٍ إلا ناله،
فإن لم ينله كله نال بعضه».

وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفوائد»:

«إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة، وردفه قمر
العزيمة؛ أشرقت الأرض بنور ربها».

وإنَّ ممَّا يعلي الهمة ويسمو بالنفس : أعتبار حال من سبق،
وتعرّف همم القوم الماضين.

فأبو عبد الله أحمد ابن حنبل كان - وهو في الصِّبا - ربّما
أراد الخروج قبل الفجر إلى حلق الشيوخ، فتأخذ أمّه بشيابه وتقول -
رحمةً به -: «حتى يؤدّن الناس أو يُصبحوا».

وقرأ الخطيب البغدادي رحمته الله «صحيح البخاري» كلّهُ على
إسماعيل الجيري في ثلاثة مجالس؛ أثنان منها في ليلتين من وقت
صلاة المغرب إلى صلاة الفجر، واليوم الثالث من ضحوة النهار
إلى صلاة المغرب، ومن المغرب إلى طلوع الفجر.

وكان أبو محمّد ابن التّبان أوّل أبتدائه يدرس اللّيل كلّهُ،
فكانت أمّه ترحمه وتنهيه عن القراءة بالليل، فكان يأخذ المصباح
ويجعله تحت الجفنة - شيء من الآنية العظيمة - ويتظاهر بالنّوم،
فإذا رقدت أخرج المصباح وأقبل على الدّرس.

فكن رجلاً رجُلُهُ على الثّرى ثابتة، وهامة همّته فوق الثّريا
سامقة، ولا تكن شابّ البدن أشيب الهمة؛ فإنّ همة الصّادق لا
تشيّب.

كان أبو الوفاء ابن عقيل - أحد أذكيا العالم من فقهاء
الحنابلة - يُنشد وهو في الثّمانين:

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي
ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي
وإنّما أعتاض شعري غير صبغته
والشّيب في الشّعْر غير الشّيب في الهمم

المعقد الرابع
صرف الهمة فيه إلى علم
القرآن والسنة

إِنَّ كُلَّ عِلْمٍ نَافِعٍ مَرْدُّهُ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ، وَبَاقِي الْعُلُومِ: إِمَّا خَادِمٌ لَهَا؛ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ مَا تَتَحَقَّقُ بِهِ الْخِدْمَةُ، أَوْ أَجْنَبِيٌّ عَنْهَا؛ فَلَا يَضُرُّ الْجَهْلَ بِهِ.

وما أحسن قولَ عياضِ اليَحْضَبِيِّ في كتابه «الإلماع»:

العلم في أصليْن لا يَغْدُوهُمَا
إِلَّا الْمُضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَحَبِ
علمُ الكتابِ وعلمُ الآثارِ الَّتِي
قد أُسْنَدَتْ عَنْ تَابِعٍ عَنْ صَاحِبِ

وقد كان هذا هو علم السلف - عليهم رحمة الله -، ثم كثر الكلام بعدهم فيما لا ينفع، فالعلم في السلف أكثر، والكلام فيمن بعدهم أكثر.

قال حماد بن زيد: قلت لأيوب السخيتاني: العلم اليوم أكثر

أو فيما تقدّم؟ فقال: «الكلام اليوم أكثر، والعلم فيما تقدّم أكثر».

المعقد الخامس

سلوك الجادة الموصلة إليه

لكلِّ مطلوبٍ طريقٌ يُوصلُ إليه، فمن سلك جادةً مطلوبه أوفَّقَتْهُ عليه، ومن عدَلَّ عنها لم يظفر بمطلوبه، وإنَّ للعلم طريقًا من أخطأها ضلَّ ولم يَنَلِ المقصود، وربما أصاب فائدةً قليلةً مع تعبٍ كثيرٍ.

وقد ذكر هذا الطَّرِيقَ بلفظِ جامعٍ مانعٍ محمَّدُ مرتضى بن محمَّد الزَّبيديّ - صاحب «تاج العروس» - في منظومةٍ له تُسمَّى «ألفية السَّنَد»، يقول فيها:

فما حوى الغاية في ألفِ سنَّه
شخصٌ فخذ من كلِّ فنٍّ أحسنه

بحفظ متن جامعٍ للرَّاجح
تأخذه على مفيدٍ ناصح

فطريق العلم وجادته مبنية على أمرين، من أخذ بهما كان معظماً للعلم؛ لأنَّه يطلبه من حيث يُمكن الوصول إليه:

فَأَمَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: فَحَفِظْ مَتْنَ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ، فَلَا بَدَّ مِنْ حَفِظٍ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يَنَالُ الْعِلْمَ بِلَا حَفِظٍ فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مُحَالًا. والمحفوظ المعوّل عليه هو المتن الجامع للرّاجح؛ أي المعتمد عند أهل الفنّ.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي: فَأَخِذْهُ عَلَىٰ مَفِيدٍ نَاصِحٍ، فَتَفَرَّعْ إِلَىٰ شَيْخٍ تَتَفَهَّمُ عَنْهُ مَعَانِيَهُ، يَتَّصِفُ بِهَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ:

وَأَوَّلُهُمَا: الْإِفَادَةُ، وَهِيَ الْأَهْلِيَّةُ فِي الْعِلْمِ، فَيَكُونُ مِمَّنْ عُرِفَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَتَلْقِيهِ حَتَّىٰ أَدْرَكَ، فَصَارَتْ لَهُ مَلَكَتُ قُوَّةٍ فِيهِ.

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِ» بِإِسْنَادٍ قَوِيٍّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «تَسْمَعُونَ، وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ، وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ».

وَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ الْخُطَابِ، لَا بِخُصُوصِ الْمَخَاطَبِ، فَلَا يَزَالُ مِنْ مَعَالِمِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَأْخُذَهُ الْخَالَفُ عَنِ السَّالِفِ. أَمَّا الْوَصْفُ الثَّانِي فَهُوَ النَّصِيحَةُ، وَتَجْمَعُ مَعْنَيْنِ اثْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا: صَلَاحِيَةُ الشَّيْخِ لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِ، وَالْآخَرُ: الْإِهْتِدَاءُ بِهِدْيِهِ وَدَلُّهُ وَسَمَّتُهُ.

وَالْآخَرُ: مَعْرِفَتُهُ بِطَرَائِقِ التَّعْلِيمِ، بِحَيْثُ يُحَسِّنُ تَعْلِيمَ الْمُتَعَلِّمِ، وَيَعْرِفُ مَا يَصْلُحُ لَهُ وَمَا يَضُرُّهُ، وَفَقِ التَّحْرِيبُ الْعِلْمِيَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّاطِبِيُّ فِي «الْمُوَافَقَاتِ».

المعقد السادس

رعاية فنونه في الأخذ، وتقديم الأهم فالهمم

قال ابن الجوزي رحمته الله في «صيد خاطره»:

«جمع العلوم ممدوح».

من كل فن خذ ولا تجهل به

فالحرم مطلق على الأسرار

ويقول شيخ شيوخنا محمد بن مانع رحمته الله في «إرشاد

الطلاب»:

«ولا ينبغي للفاضل أن يترك علماً من العلوم النافعة، التي
تُعِين على فهم الكتاب والسنة، إذا كان يعلم من نفسه قوة على
تعلمه، ولا يسوغ له أن يعيب العلم الذي يجهله ويُزِرِّي بعالمه؛
فإنَّ هذا نقص ورذيلة، فالعاقل ينبغي له أن يتكلم بعلم أو يسكت
بحلم، وإلا دخل تحت قول القائل:

أَتَانِي أَنَّ سَهْلًا ذَمَّ جَهْلًا
عِلْمًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلُ
عِلْمًا لَوْ قَرَاهَا مَا قَلَاهَا
وَلَكِنَّ الرُّضَا بِالْجَهْلِ سَهْلُ
انتهى كلامه.

وإنما تنفع رعاية فنون العلم باعتماد أصليين :
أحدهما : تقديم الأهم فالهمم ، ممَّا يفتقر إليه المتعلِّم في
القيام بوظائف العبودية لله .

والآخر : أن يكون قصده في أوَّل طلبه تحصيل مختصر في
كلِّ فنٍّ ، حتَّى إذا استكمل أنواع العلوم النَّافعة ؛ نظر إلى ما وافق
طبعه منها ، وأنس من نفسه قدرةً عليه ، فتبحَّر فيه ، سواء كان فنًّا
واحدًا أم أكثر .

ومن طيَّار شعرِ الشَّنَاقِطَةِ قولُ أحدهم :
وإن تُردِّد تحصيلَ فنٍّ تَمُّمَهُ
وعن سواه قبل الانتهاء مَهْ
وفي ترادف العلوم المنعُ جا
إن توأمانِ استبقا لن يخرججا

ومن عرف من نفسه قدرةً على الجمعِ جَمَعَ ، وكانت حاله
أستثناءً من العموم .

المعقد السابع

المبادرة إلى تحصيله، واغتنام سِنِّ الصَّبَا والشَّبَاب

قال أحمد رحمته الله: «ما شَبَّهْتُ الشَّبَابَ إِلَّا بشيءٍ كان في كُفِّي فسقط».

والعلم في سِنِّ الشَّبَابِ أسرع إلى النَّفْسِ، وأقوى تعلقًا ولصوقًا.

قال الحسن البصري رحمته الله: «العلم في الصُّغَرِ كالنَّقْشِ في الحَجَرِ».

فقوة بقاء العلم في الصُّغَرِ، كقوة بقاء النَّقْشِ في الحَجَرِ، فمن أغتنم شبابه نال إرثه، وحَمِدَ عند مشيبه سَراه.

اغتنم سِنَّ الشَّبَابِ يا فتى
عند المشيب يَحْمَدُ القوم السُّرَى
ولا يُتَوَهَّمُ مِمَّا سبق أَنَّ الكبير لا يتعلَّمُ، بل هؤلاء أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلَّموا كبارًا.
ذكره البخاري رحمته الله في كتاب العلم من «صحيحه».

وإنَّما يعسر التَّعلُّمُ في الكِبَرِ - كما بيَّنه الماورديُّ في «أدب
الدُّنيا والدين» -؛ لكثرة الشَّواغل، وغلبة القواطع، وتكاثر
العلائق، فمن قَدِرَ على دفعها عن نفسه أدرك العلم.

المعقد الثامن لزوم التأني في طلبه، وترك العجلة

إنَّ تحصيل العلم لا يكون جملةً واحدةً؛ إذ القلب يضعف عن ذلك؛ وإنَّ للعلم فيه ثَقَلًا كَثَقَلَ الْحَجَرُ فِي يَدِ حَامِلِهِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل] أي القرآن، وإذا كان هذا وصف القرآن الميسر - كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: الآية ١٧] -؛ فما الظنُّ بغيره من العلوم؟! وقد وقع تنزيل القرآن رعايةً لهذا الأمر مُنْجَمًا مَفْرَقًا؛ باعتبار الحوادث والنوازل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان].

وهذه الآية حجةٌ في لزوم التأني في طلب العلم، والتدرُّج فيه، وترك العجلة؛ كما ذكره الخطيب البغدادي في «الفتاوى» والمتفقه، والراغب الأصفهاني في مقدمة «جامع التفسير».

ومن شعر ابن النحاس الحلبي قوله كَذَلِكَ:
اليومَ شيءٌ وغداً مثلهُ
من نَحَبِ العلمِ التي تُلْتَقِظُ
يُحْصَلُ المرءُ بها حكمةُ
وإنما السَّيْلُ أَجْتَماعُ النُّقْطِ

ومقتضى لزوم التأني والتدرُّج: البداءةُ بالمتون القصار المصنَّفة في فنون العلم، حفظًا واستشراحًا، والميلُ عن مطالعة المطوَّلات التي لم يرتفع الطالبُ بعدُ إليها.

ومن تعرَّض للنظر في المطوَّلات فقد يجني على دينه، وتجاوزُ الاعتدال في العلم ربَّما أدَّى إلى تضييعه، ومن بدائع الحكم قول عبد الكريم الرفاعي - أحد شيوخ العلم بدمشق الشام في القرن الماضي -: «طعام الكبار سُمُّ الصَّغار».

المعقد التاسع

الصَّبْرُ فِي الْعِلْمِ تَحْمُلًا وَأَدَاءً

إِذْ كُلُّ جَلِيلٍ مِنَ الْأُمُورِ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالصَّبْرِ، وَأَعْظَمُ شَيْءٍ تَحْمَلُ بِهِ النَّفْسُ طَلَبَ الْمَعَالِي: تَصْبِيرُهَا عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الصَّبْرُ وَالْمَصَابِرَةُ مَأْمُورًا بِهِمَا لِتَحْصِيلِ أَصْلِ الْإِيمَانِ تَارَةً، وَلِتَحْصِيلِ كَمَالِهِ تَارَةً أُخْرَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ ٢٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهًا﴾ [الكهف: آيَةُ ٢٨].

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «هِيَ مَجَالِسُ الْفَقْهِ».

وَلَنْ يُحْصَلَ أَحَدُ الْعِلْمِ إِلَّا بِالصَّبْرِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ أَيْضًا: «لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ».

فَبِالصَّبْرِ يُخْرَجُ مِنْ مَعْرِةِ الْجَهْلِ، وَبِهِ تُدْرِكُ لَذَّةُ الْعِلْمِ.
وَصَبْرُ الْعِلْمِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: صَبْرٌ فِي تَحْمُلِهِ وَأَخْذِهِ؛ فَالْحِفْظُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَالْفَهْمُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَحُضُورُ مَجَالِسِ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَرِعَايَةُ حَقِّ الشَّيْخِ تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ.

وَالنَّوْعُ الثَّانِي: صَبْرٌ فِي أَدَائِهِ وَبَثِّهِ وَتَبْلِيغِهِ إِلَى أَهْلِهِ؛ فَالْجُلُوسُ لِلْمَتَعَلِّمِينَ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَإِفْهَامُهُمْ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، وَاحْتِمَالُ زَلَّاتِهِمْ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ.

وَفَوْقَ هَذَيْنِ النَّوَاعِينَ مِنْ صَبْرِ الْعِلْمِ؛ الصَّبْرُ عَلَى الصَّبْرِ فِيهِمَا، وَالثَّبَاتُ عَلَيْهِمَا.

لِكُلِّ إِلَى شَأْنٍ الْعُلَا وَثَبَاتٌ

وَلَكِنْ عَزِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتٌ

المعقد العاشر

ملازمة آداب العلم

قال ابن القيم رحمته الله في كتابه «مدارج السالكين»: «أدبُ المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلةُ أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما أَسْتَجْلِبَ خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا أَسْتَجْلِبَ حرمانهما بمثل قلة الأدب».

والمرء لا يسمو بغير الأدب
وإن يكن ذا حَسَبٍ ونَسَبٍ
وإنما يصلح للعلم من تأدب بآدابه في نفسه ودرسه، ومع
شيخه وقرينه.

قال يوسف بن الحسين: «بالأدب تفهم العلم».
لأنَّ المتأدب يُرى أهلاً للعلم فيبذلُّ له، وقليل الأدب يُعزُّ
العلمُ أن يُضَيَّعَ عنده.
ومن هنا كان السلف - رحمهم الله - يعتنون بتعلُّم الأدب،
كما يعتنون بتعلُّم العلم.

قال ابن سيرين رحمته الله: «كانوا يتعلمون الهدى كما يتعلمون العلم».

بل إن طائفة منهم يقدمون تعلمه على تعلم العلم.
قال مالك بن أنس لفتى من قريش: «يا ابن أخي، تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم».

وكانوا يظهرهم حاجتهم إليه.

قال مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ لابن المبارك يوماً: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم».
وكانوا يوصون به، ويرشدون إليه.

قال مالك: «كانت أمي تُعَمِّمُني، وتقول لي: أذهب إلى ربيعة - تعني ابن أبي عبد الرحمن فقيه أهل المدينة في زمنه - فتعلم من أدبه قبل علمه».

وإنما حُرِّمَ كثير من طلبة العصر العلم بتضييع الأدب.
أشرف الليث بن سعد رحمته الله على أصحاب الحديث، فرأى منهم شيئاً كأنه كرهه، فقال: «ما هذا؟! أنتم إلى يسير من الأدب، أحوج منكم إلى كثير من العلم».

فماذا يقول الليث لو رأى حال كثير من طلاب العلم في هذا العصر؟!
العصر؟!
العصر؟!
العصر؟!

المعقد الحادي عشر
صيانة العلم عما يشين،
مما يخالف المروءة ويخرمها

من لم يَصْنِ العلمَ لم يَصْنِ العلمُ - كما قال الشافعي - ومن
أخلَّ بالمروءة بالوقوع فيما يشين فقد أَسْتَخَفَّ بالعلم، فلم يُعْظَمْهُ
ووقع في البطالة، فتُفْضَى به الحال إلى زوال أَسْمِ العلم عنه.

قال وهب بن منبه رحمته الله: «لا يكون البطال من الحكماء».

وجِماع المروءة - كما قاله ابن تيمية الجد في «المحرر»،
وتبعه حفيده في بعض فتاويه -: «استعمال ما يُجَمِّله وَيَزِينُهُ،
وتجنب ما يُدْنِسُهُ وَيَشِينُهُ».

قيل لأبي محمد سفيان بن عُيينة: قد أَسْتَنْبَطْتَ من القرآن كلَّ
شيءٍ، فأين المروءة فيه؟ فقال: «في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف]؛ ففيه المروءة، وحسن
الأدب، ومكارم الأخلاق».

ومن أُلْزِمَ أدبِ النَّفْسِ لِلطَّلَبِ: تحلَّيه بالمروءة، وما يحمِلُ
عليها، وتنكُّبه خوارمها التي تخلُّ بها؛ كحلق لحيته، أو كثرة
الآلتفات في الطريق، أو مدُّ الرُّجَليْنِ في مَجْمَعِ النَّاسِ من غير
حاجة ولا ضرورة داعية، أو صحبة الأراذل والفساق والمُجَّانِ
والبطالين، أو مصارعة الأحداث والصغار.

المعقد الثاني عشر أنتخاب الصُّحبة الصَّالحة له

اتَّخَاذُ الرَّمِيلِ ضرورةً لازمةً في نفوس الخلق، فيحتاج طالب العلم إلى معاشرة غيره من الطُّلَّابِ؛ لِتُعِينَهُ هذه المعاشرة على تحصيل العلم والاجتهاد في طلبه. والزَّمَالَةُ في العلم إن سَلِمَتْ من الغوائل نافعةٌ في الوصول إلى المقصود.

ولا يَحْسُنُ بقاصد العلا إِلَّا أَنْتخاب صحبةٍ صالحةٍ تُعِينُهُ؛ فَإِنَّ للخليل في خليله أثرًا. روى أبو داودَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ: «ليس إعداء الجليس لجليسه بمقاله وفعاله فقط، بل بالنظر إليه». وَإِنَّمَا يُخْتَارُ لِلصُّحْبَةِ مَنْ يُعَاشِرُ لِلْفَضِيلَةِ لَا لِلْمَنْفَعَةِ وَلَا لِلذَّيَّةِ؛ فَإِنَّ عَقْدَ الْمَعَاشِرَةِ يُبْرَمُ عَلَى هَذِهِ الْمَطَالِبِ الثَّلَاثَةِ: الْفَضِيلَةُ، وَالْمَنْفَعَةُ، وَالذَّيَّةُ.

ذكره شيخ شيوخنا مُحَمَّدُ الْخَضِرِ بْنُ حُسَيْنٍ فِي «رِسَالَةِ الْإِصْلَاحِ».

فَانْتخب صديق الفضيلة زميلًا؛ فَإِنَّكَ تُعَرِّفُ بِهِ. وَقَالَ ابْنُ مَانِعٍ رحمته الله فِي «إِرْشَادِ الطُّلَّابِ» - وَهُوَ يَوْصِي طَالِبَ الْعِلْمِ -:

«وَيَحْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ مَخَالِطَةِ السُّفَهَاءِ، وَأَهْلِ الْمَجُونِ وَالْوَقَاحَةِ، وَسَيِّئِي السُّمْعَةِ، وَالْأَغْيِيَاءِ، وَالْبُلْدَاءِ؛ فَإِنَّ مَخَالِطَتَهُمْ سَبَبُ الْحَرَمَانِ وَشَقَاوَةِ الْإِنْسَانِ».

المعقد الثالث عشر

بذل الجهد في تحفظ العلم،

والمذاكرة به، والسؤال عنه

إذ تلقّيه عن الشيوخ لا ينفع بلا حفظ له، ومذاكرة به،
وسؤال عنه؛ فهؤلاء تُحقّق في قلب طالب العلم تعظيمه؛ بكمال
الالتفات إليه والاشتغال به، فالحفظ خلوة بالنفس، والمذاكرة
جلوس إلى القرين، والسؤال إقبال على العالم.

ولم يزل العلماء الأعلام يحضّون على الحفظ ويأمرون به.
سمعت شيخنا ابن عثيمين رحمته الله يقول: «حفظنا قليلاً وقرأنا
كثيراً، فانتفعنا بما حفظنا أكثر من أنفعنا بما قرأنا».
وبالمذاكرة تدوم حياة العلم في النفس، ويقوى تعلّقه بها،
والمراد بالمذاكرة مذاكرة الأقران.

وقد أمرنا بتعاهد القرآن الذي هو أيسر العلوم.
روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقّلة، إن
عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت».

قال ابن عبد البر رحمته الله في كتابه «التمهيد» عند هذا الحديث:
«وإذا كان القرآن الميسر للذكر كالإبل المعقّلة، من تعاهاها
أمسكها، فكيف بسائر العلوم؟!»

وبالسؤال عن العلم تفتتح خزائنه، فحُسن المسألة نصف
العلم، والسؤالات المصنّفة - كمسائل أحمد المروية عنه - برهان
جلي على عظيم منفعة السؤال.

وهذه المعاني الثلاثة للعلم: بمنزلة الغرس للشجر وسقيه
وتنميته بما يحفظ قوّته ويدفع آفته، فالحفظ غرس العلم،
والمذاكرة سقيه، والسؤال عنه تنميته.

المعقد الرابع عشر

إكرام أهل العلم وتوقيرهم

إنَّ فضل العلماء عظيمٌ، ومنصبتهم منصبٌ جليلٌ؛ لأنَّهم آباء
الرُّوح، فالشَّيخ أبٌ للرُّوح كما أنَّ الوالد أبٌ للجسد، فالاعتراف
بفضل المعلمين حقٌّ واجبٌ.

قال شعبةُ بن الحجاج: «كلُّ مَنْ سمعتُ منه حديثًا؛ فأنا له
عبدٌ».

واستنبط هذا المعنى من القرآن محمَّد بن عليٍّ الأذفويُّ فقال
ﷺ: «إِذَا تَعَلَّمَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْعَالَمِ وَاسْتَفَادَ مِنْهُ الْفَوَائِدَ، فَهُوَ لَهُ
عَبْدٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف: الآية ٦٠]،
وهو يُوشع بن نونٍ، ولم يكن مملوكًا له، وإنَّما كان مُتَلِمًا له،
متَّبِعًا له، فجعله الله فتاه لذلك».

وقد أمر الشَّرع برعاية حقِّ العلماء؛ إكرامًا لهم، وتوقيرًا،
وإعزازًا.

فروى أحمد في «المسند» عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي من لم يُجَلِّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه».

ونقل ابن حزم الإجماع على توقير العلماء وإكرامهم.

فمن الأدب اللازم للشيخ على المتعلّم - ممّا يدخل تحت هذا الأصل - التواضع له، والإقبال عليه، وعدم الالتفات عنه، ومراعاة أدب الحديث معه، وإذا حدّث عنه عظّمه من غير غلوٍّ، بل يُنزّله منزلته؛ لئلاّ يشينه من حيث أراد أن يمدحه، وليشكر تعليمه ويدع له، ولا يظهر الاستغناء عنه، ولا يؤذيه بقول أو فعل، وليتلف في تنبيهه على خطئه إذا وقعت منه زلّة.

وممّا تُناسب الإشارة إليه هنا - باختصار وجيز - معرفة الواجب إزاء زلّة العالم، وهو ستّة أمور:

الأوّل: التثبت في صدور الزلّة منه.

والثاني: التثبت في كونها خطأ، وهذه وظيفة العلماء الراسخين، فيسألون عنها.

والثالث: ترك أتباعه فيها.

والرابع: التماس العذر له بتأويل سائغ.

والخامس: بذل النصّح له بلطفٍ وسرٍّ، لا بعنفٍ وتشهيرٍ.

والسادس: حفظ جنابه، فلا تُهدر كرامته في قلوب المسلمين.

وممّا يُحدّر منه ممّا يتّصل بتوقير العلماء؛ ما صورته التوقير ومآله الإهانة والتحقير، كالازدحام على العالم، والتضييق عليه، وإلجائه إلى أعسر السبل.

المعقد الخامس عشر

رَدُّ مُشْكِلِهِ إِلَى أَهْلِهِ

فالمعظم للعلم يُعوّل على دَهاقنته والجهايزة من أهله لحلّ مشكلاته، ولا يُعرّض نفسه لما لا تُطيق؛ خوفاً من القول على الله بلا علم، والافتراء على الدين، فهو يخاف سَخَطَةَ الرَّحْمَنِ قبل أن يخاف سَوَطَ السُّلْطَانِ؛ فَإِنَّ العلماء بعلم تكلموا، وبتبصّر نافذ سكتوا، فَإِنْ تكلموا في مُشْكِلٍ فتكلّم بكلامهم، وإن سكتوا عنه فَلَيْسَ عَكَ ما وسعهم.

ومن أشقّ المُشكلاتِ الفتنُ الواقعة، والنّوازلُ الحادثة، التي تتكاثر مع امتداد الزّمن.

والتّاجون من نار الفتن، السّالمون من وهج المِحن، هم من فزع إلى العلماء ولزم قولهم، وإن أشتبه عليه شيء من قولهم أحسن الظّنّ بهم، فطرح قوله وأخذ بقولهم، فالتّجربة والخبرة هم كانوا أحقّ بها وأهلها، وإذا اختلفت أقوالهم لزم قول جمهورهم وسوادهم؛ إيثاراً للسلامة؛ فالسلامة لا يعدلها شيء.

وما أحسن قول ابن عاصم في «مرتقى الوصول»:

وواجب في مشكلات الفهم

تحسيننا الظّنّ بأهل العلم

ومن جملة المشكلات ردّ زلات العلماء، والمقالات الباطلة لأهل البدع والمخالفين؛ فإنما يتكلّم فيها العلماء الرّاسخون. بيّنه الشاطبي في «الموافقات»، وابن رجب في «جامع العلوم والحكم».

فالجادة السّالمة: عرضها على العلماء الرّاسخين، والاستمسك بقولهم فيها.

المعقد السادس عشر توقير مجالس العلم، وإجلال أوعيته

فمجالس العلماء كمجالس الأنبياء.

قال سهل بن عبد الله: «من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فليُنظر إلى مجالس العلماء، يجيء الرجل فيقول: يا فلان، أيُّ شيء تقول في رجل حلف على أمراته بكذا وكذا؟ فيقول: طَلَقْتُ أمراته، ويجيء آخر فيقول: ما تقول في رجل حلف على أمراته بكذا وكذا؟ فيقول: ليس يحنث بهذا القول، وليس هذا إلَّا لنبيٍّ أو لعالمٍ، فاعرفوا لهم ذلك».

فعلى طالب العلم أن يعرف لمجالس العلم حقَّها، فيجلس فيها جلسة الأدب، ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه؛ فلا يلتفت عنه من غير ضرورة، ولا يضطرب لضجَّة يسمعها، ولا يعبثُ بيديه أو رجليه، ولا يستنِدُ بحضرة شيخه، ولا يتكئ على يده، ولا يُكثر التَّنَحُّج والحركة، ولا يتكلَّم مع جاره، وإذا عطس خَفَضَ صوته، وإذا تشاءب ستر فمه بعد ردِّه جَهْدَه.

وينضمُّ إلى توقير مجالس العلم إجلالُ أوعيته التي يُحفظ فيها، وعمادها الكتب، فاللَّائق بطالب العلم: صونُ كتابه، وحفظُه وإجلالُه، والاعتناء به، فلا يجعلُه صندوقًا يحشوه بودائع، ولا يجعلُه بوقًا، وإذا وضعه وضعه بلطفٍ وعناية.

رمى إسحاق بن راهويَّة يومًا بكتابٍ كان في يده، فرآه أبو عبد الله أحمد ابن حنبلٍ فغضب، وقال: «أهكذا يُفعل بكلام الأبرار؟!».

ولا يتكئ على الكتاب، أو يضعُه عند قدميه، وإذا كان يقرأ فيه على شيخٍ رفعه عن الأرض، وحَمَلَه بيديه.

المعقد السَّابِعُ عَشَرَ

الذَّبُّ عَنِ الْعِلْمِ، وَالذُّودُ عَنْ حِيَاضِهِ

إِنَّ لِلْعِلْمِ حُرْمَةً وَافِرَةً، تَوْجِبُ الْإِنْتِصَارَ لَهُ إِذَا تُعْرِضَ لِحِجَابِهِ
بِمَا لَا يَصْلَحُ.

وَقَدْ ظَهَرَ هَذَا الْإِنْتِصَارُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مَظَاهِرَ مِنْهَا:
الرَّدُّ عَلَى الْمُخَالَفِ، فَمَنْ أَسْتَبَانَتْ مُخَالَفَتُهُ لِلشَّرِيعَةِ رُدَّ عَلَيْهِ كَائِنًا
مَنْ كَانَ؛ حَمِيَّةً لِلدِّينِ، وَنَصِيحَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْهَا: هَجْرُ الْمُبْتَدِعِ؛ ذَكَرَهُ أَبُو يَعْلَى الْفَرَّاءُ إِجْمَاعًا.

فَلَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَهْلِ الْبِدْعِ؛ لَكِنْ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ فَلَا
بَأْسَ، كَمَا فِي الرَّوَايَةِ عَنْهُمْ لَدَى الْمُحَدِّثِينَ.

وَمِنْهَا: زَجْرُ الْمُتَعَلِّمِ إِذَا تَعَدَّى فِي بَحْثِهِ، أَوْ ظَهَرَ مِنْهُ لَدَدٌ أَوْ
سَوْءُ أَدَبٍ.

وَإِنْ أَحْتَاجَ الْمُعَلِّمُ إِلَى إِخْرَاجِ الْمُتَعَلِّمِ مِنْ مَجْلِسِهِ؛ زَجْرًا
لَهُ فَلْيَفْعَلْ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ شُعْبَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ عَفَّانَ بْنِ مُسْلِمٍ فِي
دَرْسِهِ.

وَقَدْ يُزَجَّرُ الْمُتَعَلِّمُ بِعَدَمِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَتَرْكِ إِيَابَتِهِ،
فَالسُّكُوتُ جَوَابٌ؛ قَالَهُ الْأَعْمَشُ.

وَرَأَيْنَا هَذَا كَثِيرًا مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّيُوخِ؛ مِنْهُمْ الْعَلَّامَةُ ابْنُ
بَازٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَبَّمَا سَأَلَهُ سَائِلٌ عَمَّا لَا يَنْفَعُهُ، فَتَرَكَ الشَّيْخَ إِيَابَتَهُ،
وَأَمَرَ الْقَارِئَ أَنْ يَوَاصِلَ قِرَاءَتَهُ، أَوْ أَجَابَهُ بِخِلَافِ قَصْدِهِ.

المعقد الثامن عشر التَّحْفُظُ فِي مَسْأَلَةِ الْعَالَمِ

فرارًا من مسائل الشَّعْبِ، وحفظًا لهيبة العالم؛ فإنَّ من السُّؤال ما يُراد به التَّشْغِيبُ وإيقاظ الفتنة وإشاعة السُّوء، ومن آنس منه العلماء هذه المسائل لقي منهم ما لا يُعْجِبُهُ، كما مرَّ معك في زجر المتعلِّم، فلا بدَّ من التَّحْفُظِ فِي مَسْأَلَةِ الْعَالَمِ، ولا يُفْلَحُ فِي تَحْفُظِهِ فِيهَا إِلَّا مَنْ أَعْمَلَ أَرْبَعَةَ أَصُولٍ:

أَوَّلُهَا: الفكر في سؤاله لماذا يسأل؟ فيكون قصده من السُّؤال التَّفَقُّهُ والتَّعَلُّمُ، لا التَّعَنُّتُ والتَّهَكُّمُ؛ فإنَّ من ساء قصده في سؤاله يُحرَمُ بركة العلم، ويُمْنَعُ منفَعته.

الأصل الثَّانِي: التَّفَقُّطُ إِلَى مَا يَسْأَلُ عَنْهُ؛ فلا تسأل عمَّا لا نفع فيه؛ إمَّا بالنَّظَرِ إِلَى حَالِكَ، أو بالنَّظَرِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ نَفْسِهَا. ومثله السُّؤال عمَّا لم يقع، أو ما لا يُحْدِثُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ، وإنَّما يُخَصُّ بِهِ قَوْمٌ دُونَ قَوْمٍ.

الأصل الثَّالِث: الانتباه إلى صلاحية حال الشَّيْخِ لِلْإِجَابَةِ عَنْ سؤَالِهِ، فلا يَسْأَلُهُ فِي حَالِ تَمَنُّعِهِ، ككونه مهمومًا، أو متفكِّرًا، أو ماشيًا في طريقٍ، أو راكبًا سيارته، بل يتَحَيَّنُ طِيبَ نَفْسِهِ.

الأصل الرَّابِع: تَيْقُظُ السَّائِلِ إِلَى كَيْفِيَّةِ سؤَالِهِ، بإخراجه في صورةٍ حسنةٍ متأدِّبةٍ، فيُقَدِّمُ الدُّعَاءَ لِلشَّيْخِ وَبُجْلَهُ فِي خُطَابِهِ، ولا تكون مخاطبته له كمخاطبته أهلَ السُّوقِ وَأَخْلَاطِ الْعَوَامِ.

المعقِد التاسع عشر شَغَفُ القلب بالعلم وَغَلَبَتُهُ عليه

فصدق الطَّلِب له يوجب محبَّته، وتعلَّق القلب به، ولا ينال العبدُ درجة العلم حتَّى تكون لذَّته الكبرى فيه. وإنَّما تُنال لذَّة العلم بثلاثة أمورٍ، ذكرها أبو عبد الله ابن القيم رحمته الله:

أحدها: بذل الوسع والجهد.

وثانيها: صدق الطَّلِب.

وثالثها: صحَّة النِّيَّة والإخلاص.

ولا تَنِمُّ هذه الأمور الثلاثة، إلَّا مع دفع كلِّ ما يُشغِلُ عن القلب.

إنَّ لذَّة العلم فوق لذَّة السُّلطان والحكم التي تتطلَّع إليها نفوسٌ كثيرةٌ، وتُبذل لأجلها أموالٌ وفيرةٌ، وتُسفك دماءٌ غزيرةٌ. ولهذا كانت الملوك تتوقُّ إلى لذَّة العلم، وتُحسُّ فقدها، وتطلَّب تحصيلها.

قيل لأبي جعفر المنصور - الخليفة العباسي المشهور، الذي كانت ممالكه تملأ الشرق والغرب -: هل بقي من لذات الدنيا شيءٌ لم تنله؟ فقال - وهو مستوٍ على كرسيه وسرير ملكه -: «بقيت خصلةٌ: أن أقعدَ على مضطَّبةٍ، وحولي أصحاب الحديث - أي طُلَّابُ العلم - فيقول المستملي: مَنْ ذكرتَ رحمك الله؟»

يعني فيقول: حدَّثنا فلانٌ، قال: حدَّثنا فلانٌ، ويسوق الأحاديث المسندة.

ومتى عُمر القلب بلذَّة العلم سقطت لذات العادات، وذهلتِ النَّفْسُ عنها؛ بل تستحيل الآلامُ لذَّةً بهذه اللذَّة.

المعقد العشرون حفظ الوقت في العلم

قال ابن الجوزي رحمته الله في «صيد خاطره»: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يُضيّع منه لحظة في غير قُربة، ويُقدّم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل».

ومن هنا عظمت رعاية العلماء للوقت، حتى قال محمد بن عبد الباقي البزاز: «ما ضيّعت ساعة من عمري في لهو أو لعب». وقال أبو الوفاء ابن عقيل - الذي صنّف كتاب الفنون في ثمانمائة مجلد -: «إنّي لا يحلّ لي أن أُضيّع ساعة من عمري». وبلّغت بهم الحال أن يُقرأ عليهم حال الأكل؛ بل كان يُقرأ عليهم وهم في دار الخلاء.

فاحفظ أيّها الطّالبُ وقتك؛ فلقد أبلغ الوزير الصّالح ابن هُبيرة في نصحك بقوله:

والوقت أنفسُ ما عُنيَتْ بحفظه
وأراه أسهلَ ما عليك يضيّع

تمتِ الخلاصة

لَا تَكْتَفِ وَرَاجِعِ الْأَصْلَ وَأَصْلَ الْأَصْلِ وَشَرْحَهُ لِشَيْخِنَا ذِي الْفَضْلِ

ثُمَّ بِحَمْدِ رَبِّنَا مَنْ عَظَّمَا الْعِلْمَ وَالْعَالِمَ نَظْمِي خُتِمَا

تم بحمد الله